الثقافة الواقعية

ومن أهم ما يلزم الداعية التسلُّح به من ألوان الثقافة بعد ما تقدَّم : ما سمَّيناه (الثقافة الواقعية) ، ونعني بها : الثقافة المستمدَّة من واقع الحياة الحاضرة ، وما يدور به الفلك في دنيا الناس الآن ، في داخل العالم الإسلامي وفي خارجه ، فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصَّل العلوم الإسلامية ، وجال في مراجع الأدب واللغة والتاريخ ، وأخذ بحظِّه من العلوم الإنسانية ومن العلوم التجريبية ، ولكنه مع هذا كلِّه لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه ، وما يقوم عليه من نُظم ، وما يسوده من مذاهب ، وما يحرِّكه من عوامل ، وما يصطرع فيه من قوى ، وما يجري فيه من تيارات ، وما يعاني أهله من متاعب ، وبخاصة وطنه الإسلامي الكبير من المحيط إلى المحيط ، بآلامه وآماله ، وأفراحه ومآسيه ، ومصادر قوَّته ، وعوامل ضعفه ، وبعد ذلك وطنه الصغير وبيئته المحلية ، وما يسودها من أوضاع وتقاليد ، وما تقاسيه من صراعات ومشكلات ، وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار .

إن الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف مَن يدعوهم ، حتى يعرف كيف يدعوهم ، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر؟ ولهذا حين بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كلِّ يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتردُّ على فقرائهم »[1]

ومعنى هذا أنهم لو كانوا مجوسًا أو ملاحدة أو نحو ذلك لكان عليه أن يدعوهم بطريقة أخرى .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٥) ، ومسلم في الإيمان (١٩) ، كما رواه أحمد في المسند (٢٠٧١) ، وأبو داود (١٥٨٤) ، والترمذي (٦٢٥) ، والنسائي (٢٤٣٥) ، وابن ماجه (١٧٣٨) ، أربعتهم في الزكاة ، عن ابن عباس .

ومن هنا يجب على الداعية في عصرنا أن يدرس :

١- واقع العالم الإسلامي :

بمعرفة خُلاصة مركَّزة عن أوضاعه الجغرافية والسياسية ، وتوزيع سكانه ، وأسباب تخلُّفه وتفرُّقة ، وعوامل تقدُّمه ووحدته ، وإمكانات تكامله اقتصاديًّا ، وتضامنه سياسيًّا وعسكريًّا ، فضلاً عن تقاربه اجتماعيًّا وثقافيًّا .

أضواء على فكرة (الجامعة الإسلامية) أو (الكتلة الإسلامية) أو (التضامن الإسلامى) باعتباره خطوة في طريق (الخلافة الإسلامية) .

مشكلات الأقليات والأكثريات الإسلامية المضطهدة : في الفلبين ، في قبرص ، في أرتيريا ، في الحبشة ، في الاتحاد السوفيتى ، في أوربا الشرقية ، في ألبانيا ، في يوغوسلافيا ، في الصين ، في الهند .

٢- واقع القوى العالمية المعادية للإسلام :

وتتمثَّل في المثلث الرهيب : اليهودية العالمية ، والصليبية العالمية ، والشيوعية الدولية ، وهي قد تختلف فيما بينها ، لكنها متَّفقة علينا .

لا بد من دراسة الأسباب والدوافع وراء كيدها لنا : الحقد ، الطمع ، الخوف ، الاستعلاء . . . إلخ . وسائلها في حربنا : الحرب السياسية ، الحرب الاقتصادية ، الحرب الفكرية . . . خطورة هذه الحرب الأخيرة وأساليبها وأجهزتها : التبشير ، مؤسَّساته وإمكاناته الهائلة ، الغارة النصرانية على العالم الإسلامي ، الصراع بين الإسلام والتبشير في إفريقيا ، التخطيط لتنصير إندونسية أكبر بلد إسلامى ، محاولات التنصير في العالم العربى ، الفشل وتغيير الخطة ، التعاون بين التبشير والاستعمار ، وكذلك بين التبشير والشيوعية أخيرًا . الاستشراق : أهدافه ووسائله ، إسهامه في إحياء التراث . . . كتابات المستشرقين عن الإسلام ومدى علميَّتها ، المنصفون والمتحاملون من المستشرقين ، سموم الفكر الاستشراقي وآثارها في عالمنا العربي الإسلامي ، تلاميذ المستشرقين .

الغزو الشيوعى : عن طريق الخبراء والمساعدات والمؤسَّسات الثقافية ، والبعثات التعليمية والتدريبية إلى البلاد الشيوعية ، وتأييد الأحزاب الشيوعية في الداخل بالتمويل والتوجيه .

المؤسسات المشبوهة : الماسونية وما تفرَّع عنها : خطرها وأساليبها الماكرة ، وتغلغلها في الطبقات الارستقراطية . . . نوادي الروتاري .

الغزو من الداخل : عن طريق العملاء وعبيد الفكر الغربي ، والأحزاب الموالية من ليبرالية ويسارية ، احتضان الفرق المنشقَّة على الإسلام كالبهائية والقاديانية . . . الحكام العلمانيين . . . إلخ .

وينبغي هنا التنبيه على أمرين :

١- عدم التهويل أو التهوين من شأن القوى المعادية ومخطَّطاتها ، حتى لا يؤدِّي ذلك إلى اليأس من مقاومتها أو الاستهانة بها .

٢- الاستفادة من الصراع القائم بينها بذكاء ، واستغلال الفرص المناسبة لذلك ، كالصراع بين روسيا والصين ، وقد كان السلف يقولون : اللهم اشغل الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين .

٣- واقع الأديان المعاصرة :

اليهودية : توراتها المحرَّفة ، وتلمودها الرهيب ، ونظرته إلى الأمميين ، وانعكاس ذلك على الحركة الصهيونية وقيام إسرائيل .

المسيحية : طوائفها وكنائسها المختلفة ، وما بينها من صراع ، محاولات التقارب بين بعضها وبعض ، محاولات تقرُّبها من اليهودية ، وثيقة الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح ، محاولات ما يسمَّى « التقارب الإسلامي الميسحي » وقيمتها .

أديان الشرق الأقصى الكبرى ، مثل :

الهندوكية الوثنية : عقائدها ، وطوائفها ، موقفها من المسلمين .

البوذية : ومدى انتشارها في بلاد الشرق الأقصى ، وأثرها في حياة أتباعها .

٤- واقع المذاهب السياسية المعاصرة :

من شيوعية ورأسمالية واشتراكية وديمقراطية ودكتاتورية ، وتعدد مدارسها واختلاف تطبيقاتها .

ونرى ذلك في النظرية الشيوعية الماركسية ، ومدى اختلافها في تطبيق (لينين) وخلفائه في روسيا عن تطبيق (ماو) في الصين ، بل ما بين (ستالين) ، ومن بعده (خرشوف) ، إلى (بريجنيف) . عجز الشيوعية عن تحقيق فلسفتها الخيالية في مساواة الدخول ، وزوال الدولة . . . إلخ .

الشيوعية في أحزاب أوربا الغربية : تخلّي بعض زعمائها عن بعض المفاهيم الأساسية للماركسية ، كنظرية الصراع الطبقي ، موقف الشيوعية من الأديان عامة والإسلام خاصة ، موقفها من القيم الأخلاقية ، موقفها من الحريات .

الرأسمالية المعاصرة : ومدى مغايرتها للرأسمالية في بداية نشأتها . الرأسمالية في أمريكا وأوربا واليابان ، آثار الرأسمالية الآن وموقفها من الدين ، الرأسمالية علمانية ، معنى قيام أحزاب ديمقراطية مسيحية في أوربا .

الاشتراكية : وكثرة مدارسها واختلاف ما بينها ، من إصلاحية إلى علمية ، الجامع بين الاشتراكيات المختلفة ، فرق ما بين الاشتراكية والشيوعية . الاشتراكية والدين ، معنى قيام أحزاب اشتراكية مسيحية في أوربا .

الديمقراطية : معناها وأنواعها . ادعاء الشيوعيين والرأسماليين والاشتراكيين لها . ديمقراطية الصراع السياسي ، أو الاجتماع السياسي ، أو التحالف السياسي . أزمة الديمقراطية في العالم .

الدكتاتورية : معناها ، وأنواعها ، دكتاتورية الطبقة ، دكتاتورية الحزب ، دكتاتورية الزعيم ، التجربة الفاشية والنازية ، الدكتاتورية في عالمنا اليوم .

موقف الإسلام من هذه المذاهب ، الإسلام نسيج وحده ، ما وافق الإسلام منها في شيء خالفه في أشياء ، تميُّز الإسلام عنها في غاياته ووسائله ، خطأ إضافة الإسلام

إلى مذهب منها . . . استغناء أمتنا بما عندها عن استيراد مذهب أجنبي عنها . . . جناية الحلول المستوردة على أمتنا ، حتمية الحل الإسلامي .

٥- واقع الحركات الإسلامية المعاصرة :

الحركات الإقليمية ، الحركات العالمية ، الحركات الجزئية ، الحركات الشاملة .

أهم هذه الحركات في العالم الإسلامي : حركة الجماعة الإسلامية في باكستان والهند ، حزب ما شومي في إندونيسية ، الحركة الإسلامية في تركية ، حزب التحرير في الأردن وفلسطين ، الإخوان المسلمون في مصر والعالم العربي ، وهي كبرى الحركات الإسلامية الحديثة .

الدعوة الإسلامية في العالم العربي الإسلامي : مؤسساتها ووسائلها : المساجد ورسالتها ، وما ينقصها ، وما يمكن أن تقوم به ، مؤتمر رسالة المسجد ، المجلات الإسلامية ودورها ، الكتب الإسلامية .

الدعاة المرشدون : المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، توصياته ودراساته .

أهمية الجامعات والمعاهد الإسلامية ووظيفتها .

دور وزارات الأوقاف والشئون الإسلامية .

الدعوة الإسلامية في خارج العالم الإسلامي : في آسيا وإفريقيا . . . في أوربا وأمريكا . المراكز الإسلامية . . . والجمعيات الإسلامية . . . الاتحادات الطلابية . . . المدارس الإسلامية . أهمية التنسيق والترابط بين المؤسسات . . . الحذر من مؤامرات القوى المعادية عليها ، وجوب معاونتها من داخل العالم الإسلامي ماديًا وأدبيًا .

دور الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي وغيرها من المؤسسات في نشر الدعوة ومعاونة دعاتها . . . تحذير الحكومات من التدخُّل في توجيه هذه المؤسسات لخدمة السياسات المحلية .

٦- واقع التيارات الفكرية المعارضة للإسلام :

ونعني بها التيارات الموجودة داخل العالم الإسلامي مثل :

التيار اليساري أو الماركسي ، وهو تيار مادي الفكرة ، موالٍ للمعسكر الشيوعي .

التيار الليبرالي ، الموالي للمعسكر الغربي ، ويمثّله كتّاب وصحف وأحزاب ، وهو تيار علماني .

التيار القومي ، القومية العربية ، أو الطورانية أو الفارسية ونحوها ، وهو تيار علماني أيضًا ينادى بفصل الدين عن الدولة .

٧- واقع الفرق المنشقة على الإسلام :

وأبرزها وأخطرها : البهائية والقاديانية .

أما الأولى فهي دين جديد مخالف للإسلام كلَّ المخالفة ، ولا يزعم دعاتها أنفسهم أنها من الإسلام ، وإن نشأت أول ما نشأت في أرض الإسلام .

وأما الثانية فهي فرقة مارقة تدَّعي نبوَّة جديدة بعد أن ختمها محمد ﷺ . وهذه تحاول جاهدة أن تلتصق بالإسلام وأمة الإسلام ، وكلتاهما تحظى بمساندة القوى المعادية للإسلام .

٨- واقع البيئة المحلية :

فكلُّ داعية عليه أن يدرس البيئة التي يعيش فيها ويعرف أوضاعها ، وتقاليدها ، ويتعمَّق في فَهم مشكلاتها ونفسيات أهلها وما يؤثِّر فيها ، كما عليه أن يعرف لغتهم ليكلِّمهم بلسانهم : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾

(إبراهيم: ٤)

ولهذا نرى معرفة اللغات الحية ـ أو لغة منها على الأقل ـ ضرورة للداعية في عصرنا .

هذه معالم سريعة لما ينبغي أن تقوم عليه ثقافة الواقع ، ولا يخفى أن هذه الثقافة لا تستمدُّ من الكتب وحدها ، فهي ثقافة نامية متجدِّدة مستمرَّة ، يمكن الداعية أن يجدها في الصحف والمجلات والدوريات والنشرات الرسمية وغير الرسمية .

والداعية ذو العقل اليقظ ، والحسّ المرهف يستطيع أن يأخذ مدداً جديداً من كلّ ما حوله من وقائع الحياة اليومية ، من أخبار الصحف ووكالات الأنباء ، وتعليقات المعلّقين ، ويمكنه أن يعدَّ لذلك سجلا أو أرشيفا ، يدوّن فيه ما يهمُّه من هذه الوقائع والأخبار ، ويصنّفها ويضعها عند الحاجة في مكانها ، فإن أحداث اليوم هي تاريخ الغد ، الذي يدرسه الدارسون ويحلّله الناقدون .

على أن لهذه الأخبار والأحداث مزيَّة على الأحداث والأخبار الماضية ، وهو جدَّتها وحضورها في الأذهان ، لهذا يكون لها أبلغ الواقع والتأثير .

بل يستطيع الداعية أن يتلقّى معلوماته عن الواقع من مصادره الحية المباشرة ، بلقاء الناس ومخالطتهم ومشاهدة أحوالهم ، والاستماع إلى أحاديثهم ، في الحضر والسفر ، فإن السفر نصف العلم ، ولهذا كان علماؤنا الأولون أكثر الناس ترحالاً في طلب العلم من أهله في مواطنهم . وقد قال الشاعر العربى :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر مـــا قد حدثوك ، فما راء كمن ســـمعا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *